

عالم الذر من منظار العلامة الأميني في كتابه (المقاصد العلية)

الاستاذ محمد بياباني الأسكوثي

الملخص: يحقق المؤلف في هذه الدراسة البحث عن عالم الذرّ طبقاً لمنظار العلامة عبدالحسين الأميني (١٣٩٠-١٣٢٠ ق.) في كتابه "المقاصد العلية في المطالب السنية" و يقارن بين آراء مجموعة من علماء الشيعة بخصوص مقام عالم الذرّ و تعدّد عالم الأرواح و الذرّ و بين آراء العلامة الأميني، مضافاً إلى تواتر أحاديث عالم الذرّ، و ثلاث من حكم عالم الذرّ. الكلمات المفتاحية: عالم الذرّ؛ العلامة الأميني؛ المقاصد العلية في المطالب السنية (كتاب).

١. باحث و مدرس في الحوزة العلمية بقم.

المقدمة

كتاب (المقاصد العلية في المطالب السنية) تأليف العلامة عبدالحسين الأميني (١٣٢٠ - ١٣٩٠ ق.) كتبه حين إقامته في مدينة تبريز الإيرانية، و خلال سني هجرته الأولى إلى النجف الأشرف، و قد تمّ تحقيقه و إصداره لأول مرة في سنة ١٤٣٤ ق. بتحقيق السيد محمد الطباطبائي اليزدي، و ذلك من قبل (مؤسسة المحقق الطباطبائي) في قم المقدسة .

يشمل هذا الكتاب تفسير أربع آيات من القرآن المجيد:

أ. قوله تعالى: «قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا اِثْنَيْنِ وَاٰحْيَيْنَا اِثْنَيْنِ فَاَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ» (غافر / ١١).

ب. قوله تعالى: «وَلِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (الأعراف / ١٨٠)

ج. قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ» (الأعراف / ١٧٢)

د. قوله تعالى: «وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» (الواقعة / ٧ - ١١).

بين هذه الآيات حظيت الآية (١٧٢) من سورة الأعراف المباركة بتفصيل أكبر بحيث استغرقت نصف هذا الكتاب ذي الأربع مئة.

في هذه الدراسة يتمّ التحقيق في موقف العلامة الأميني من عالم الذرّ بناءً على هذا الكتاب.

١. إهتمام العلامة الأميني الخاصّ بعالم الذرّ

عالم الذرّ عنوان زمانٍ خاصٍّ من حياة الإنسان قبل مجيئه إلى الدنيا. و كان لموضوع وجود عالم

١. انظر عن الكتاب، هذه المقالات:

أ. حسن أضراري، چند نکته ای در باره کتاب المقاصد العلية، في مجموعة «أمن شريعت» ص ٥٣ - ٥٦

ب. عبدالحسين طالع، مروي بر المقاصد العلية، نفس المجموعة، ص ٥٧ - ٦٨

ج. جهل حديث برگرفته از المقاصد العلية، بشرى طباطبائي يزدي، نفس المجموعة، ص ٦٩ - ٧٨

د. قيس محجة العطار. نظرة إلى كتاب المقاصد العلية. مجلة سفينة، العدد ٣٨، ص ١٤٤ - ١٦١

المقالات الثلاث الأولى باللغة الفارسية، و مجموعة «أمن شريعت» مجموع مقالات مختص بالأمني و آثاره من إصدارات مؤسسة المحقق الطباطبائي قم، نشره في سنة ١٣٩٢ ش. / ١٤٣٥ ق. بمناسبة مجلس رفع الستار عن كتاب المقاصد العلية.

و نضيف إلى ذلك الأطروحة الجامعية لطالبة الماجستير (كوثر طالع) في جامعة القرآن و الحديث بطهران، ناقشها سنة ١٤٤٣ ق. في موضوع منهجية الأميني في كتاب المقاصد.

الذّرّ و كَيْفِيَّة وجود الإنسان في هذا العالم و خصوصيّاته و تفاوته مع الدنيا و دوره في حياة الإنسان و تأثير عالم الذّرّ في حياة الإنسان العمليّة و دوره في إيمان و أخلاق و سلوك الإنسان و الفوائد التي يستلمها منه، و محروميته من ميزات عالم الذّرّ الخاصّة في هذه الدنيا..

كان لكلّ ذلك من جملة موارد التشويش التي أدّت و دفعت بالعلامة الأميني إلى المبادرة إلى التحقيق والبحث في عالم الذّرّ.. و قد توصّل رحمه الله بهذا الصّدّد إلى نقاط و مسائل يمكن وصفها بكونها قليلة النظير، بل عديمة النظير.. و مع ذلك، فإنّ أبعادا و زوايا بخصوص هذا العالم مازال بحاجة إلى البحث و التحقيق.. و ما منجزات العلامة الأميني إلّا طبقة أو تُعدّ من مباحث و موضوعات جمّة بخصوص عالم الذّرّ، و هي بحاجة إلى المزيد من تسليط الأضواء عليها.

و نحن في هذه الدراسة نسعى إلى استعراض البحوث التي عاجلها المرحوم العلامة الطباطبائي و طرحها بشأن العالم الذّرّ، كما نشير إلى بحوث أخرى عن ذلك العالم، و ينبغي التحقيق فيها..

٢. مقام عالم الذّرّ

أحد البحوث الهامّة في عالم الذّرّ، الموقع المكانيّ و الزمانيّ، و البحث في هذا الأمر يكون صحيحاً إذا ما عرفنا أنّ عالم الذّرّ ليس كعالم العقول و النفوس الكلّيّة المجرّدة، أو مجرّداً عن ال مكان و الزّمان. علم الذّرّ عالم مادّيّ و جسمانيّ.. و بهذه الصورة ينبغي التحقيق في التفاوت بين وجود الإنسان و الموجودات الأخرى في ذلك العالم و بين عالم الدنيا.. و إجراء وصف كامل يعرض على المخاطب في هذا الإطار.

و ليس للعلامة الأميني بهذا الصّدّد بحث كامل و واضح، إلّا أنّه على اعتقاد بأنّ الدّنيا عبارة عن بيت مظلم تقع فيه العناصر المادّيّة و أنّ الروح في هذه الدّنيا مغطّاة بأغشية مُلكيّة، و ممترجة بأجزاء أرضيّة و مغيرة بأجرام جسمانيّة.. و من هنا، أضحي الإنسان في هذا العالم محروماً من الحضور في محضر الله تعالى تبعاً لانخراطه في العوالم المادّيّة الطبعيّة. و على هذا فإنّ انخراط الإنسان في عالم المادّة أدنى به إلى عدم تمكّنه من معرفة الله في دار الدّنيا و التوجّه إليه، أو لغفل أنّ الأمر في ذلك صعب عسير للغاية. يقول العلامة الأميني:

١. انظر في بحث عالم الذّرّ الكتابين التاليين، الأول بالعربية و الثاني بالفارسية:

أ. سّد المفز على منكري عالم الذّرّ، للشّيخ محمد باقر علم الهدى رحمه الله عليه، بيروت: دارالعلوم، ٢٠١٢.

ب. جايداه عالم ذر و ارواح در فطرت توحیدی انسان، ل محمد بیابانی الأسکوئی، من منشورات مؤسسة النّبا الثقافيّة بظهران، ١٣٩٥ الشمسيّة.

«لا يمكن للبشر تحصيل المعرفة بالله و صفاته و حقائق صنعه بمشاهدة هذا العالم الضيق الصغير؛ بل الأصغر بالنسبة إلى العوالم الغيبية العلوية و النظر إليه بهذه الحواس الظاهرة القاصرة العنصرية. و لا يجديه التوجه بالحواس الباطنية الروحية و الإقبال إلى العوالم الألوهية بالعقل المكسوف و القلب المستور بالأغشية الجهلية بعد بعده عن الحضرة الإلهية. و لا يتأتى له من المعارف الحقّة ما يحصل لدى تجرّد الروح و حال نورانيّتها و إشراقها و صفائها في العوالم النورانية الروحانية المملوكة». (الأميني، المقاصد، ص ١٣٧).

فهو رحمه الله في هذه العبارة المقتضبة وصف عالم الذرّ بخصوصيات، مثل: المملوكة و الروحانية و النورانية و التجرّد، و أنّه بالنسبة إلى عالم الدنيا أوسع بكثير جدّاً، و أنّ الدنيا بالنسبة إليه صغيرة جدّاً. و حسب رأي الأميني، فإنّ الظلمة في ذلك العالم غير حاصلة جزاء التعلّق بعالم الملك و المادّة .. و في الحقيقة إنّ الجميع هناك حائزون على العرفان - بتمام المعنى - بالله تعالى و صفاته و حقائق مصنوعاته .. و اعتبر الأميني في مقام آخر، الإنسان الكامل عالماً صغيراً و إنّ جميع عوالم الخلقه عالماً كبيراً. فهو كتب:

«فالعالم بأجزائه هو صورة الحقيقة الإنسانية... و حقائق العالم كلّها مظاهر الحقيقة الإنسانية، و أرواحها جزئيات الروح الأعظم الإنساني، سواء كان روحاً عليّاً أو عنصريّاً أو حيوانيّاً، و لذلك يُسمّى العالم المفضّل بالعالم الكبير لظهور الحقيقة الإنسانية فيه.

و لها في العالم الكبير ظهورات تفصيلية، كما أنّ لها في العالم الإنساني ظهورات إجمالية. و أول ظهورها هي الصورة الروحية المجردة المطابقة بالصورة العقلية، ثمّ الصورة القلبية المطابقة بالصورة التي للنفس الكلية، و بالتّمسك المنطبقة الفلكية، ثمّ بالصورة الدخانية اللطيفة، المسماة بالروح الحيوانية الطبية المطابقة بالهيولى الكلية، ثمّ الصورة الدموية المطابقة بصورة الجسم الكلّي، ثمّ الصورة الأعضاء المطابقة لأجسام العالم الكبير». (الأميني، المقاصد، ص ٧٩ - ٨٠)

فهو هنا في هذا المتن قد مزج بين اصطلاحات كثيرة من الأصول و مباني الفلسفة و العرفان الطبيعيّ البشريّ. و إنّ كثيراً منها قد اضمحلّ تحت مظلة التقدّم التجريبيّ في العلوم البشرية، و خلط عالم العقول و النفوس الفلكية بشكل عامّ في العلوم البشرية الجديدة .. و عليه؛ فإنّ تأسيس المعارف الدينية الأصيلة على هذه الأصول و القواعد المنهارة، يُعدّ خطأ في طريق و إطار معرفة و تحديد المعارف الدينية و إخلالاً في اعتقادات البشر الدينية أيضاً.

و لكن؛ إذا ما التفت أحد إلى جميع مطالب المرحوم العلامة الأميني الخاصة بعالم الذرّ و خصوصياته، فإنّه سيأتد له عدم الانطباق مع محتوى المصطلحات العرفانية و الفلسفية؛ و ذلك أنّه عدّ مسألة التكليف من المميّزات المهمّة في عالم الذرّ، حيث أنّ جميع أفراد الإنسان قد توجه إليهم التكليف في ذلك العالم.. هذا في حين أنّ عالم العقول و النفوس الكلّية الفلكية لا تعتبر ظرفاً للتكليف أبداً.. و هناك النور الكامل و الفعلية المحضة...

٣. تعدّد عالم الأرواح و الذرّ؛ طبقاً لروايات أهل البيت:

من روايات أهل البيت: الواردة بخصوص عالم الأرواح و عالم الذرّ، يمكن الاستفادة بوضوح أنّ عالم الأرواح هو غير عالم الذرّ.. ففي عالم الأرواح كان الإنسان موجوداً بروحه فحسب، والحال أنّه كان في عالم الذرّ، و علاوة إلى روحه، متنعمّاً ببدنه الخاصّ أيضاً.

ففي روايات عديدة ورد أنّ الله تبارك و تعالى قد خلق الأرواح قبل ألفي عام من خلقته الأبدان .. ثمّ خلق الأبدان التي كان قدّرهما بتقديره .. ثمّ علّق كلّ روح ببدنها .. قال النبيّ الأعظم ٦:

«خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ بِأَلْفِي عَامٍ ثُمَّ أَسْكَنَهَا الْهُوَاءَ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ثُمَّ ائْتَلَفَ هَاهُنَا وَ مَا تَنَافَرَتْ ثُمَّ ائْتَلَفَ هَاهُنَا». (بحار الانوار، ج ٦١ ص ١٣٢)

يُستفاد من هذه الشريحة من الأحاديث و الروايات أنّه سبحانه و تعالى قد خلق الأرواح دفعة واحدة دون التدرّج أو بفاصلة زمنية.

و كتب المحقّق الشعراني في تعليقاته على (شرح الكافي) للمحدّث المولى صالح المازندراني مؤدّاً هذا الأمر:

«قوله «قبل أبدانهم بألفي عام» معناه أنّ خلق جميع الارواح أو جنس الارواح كان قبل خلق جميع الاجسام بألفي عام؛ و الحاصل أنّ عالم الأرواح خلق قبل عالم الأجسام بألفي عام. و يحتمل بعيداً أن يكون المراد خلق كلّ واحدٍ واحد من الأرواح قبل كلّ واحدٍ واحدٍ من الأبدان، فيكون خلق كلّ روح قبل بدن نفسه بألفي عام؛ و هذا لا يطابق سياق عبارة الحديث و تفرّيع الامام ٧ عليه، إذ ربما يكون تولّد وليّ من أولياء الامام ٧ بعد عهده ٧ بثلاثة آلاف سنة؛ فيكون خلق روحه بعد عصره ٧ بألف سنة و لم يكن رآه الامام ٧ في عالم الأظلة و لم يعرفه مع أنّه ٧ جعل خلق الأرواح

١. المراد به الحديث المرويّ عن أميرالمؤمنين ٧ الذي ردّ فيه مدّعي محبته، إذ قال له أنّك لا تحبنا لأن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام و ماكان روحك في أرواح الشيعة.

قبل الأجسام مقدمةً لعرضهم عليه و معرفته إيّاهم» (المازندراني، شرح الكافي، ج ٧ ص ١٢٨).

و كتب الأستاذ الشيخ مصباح اليزدي في تعليقه على بحار الأنوار:

«و ممّا ينبغي الالتفات إليه أنّ في تقدّم خلق الأرواح على الأبدان بألفي عام - على حدّ التعبير الوارد في الروايات- لم يعتبر كلّ روح إلى بدنه بحيث يكون خلق كلّ روح قبل خلق بدنه بألفي عام كامل، لا أزيد و لا أنقص؛ و إلّا لزم عدم وجود جميع الأرواح في زمن عليّ ٧ فضلاً عمّا قبله، ضرورة حدوث كثيرٍ من الأبدان بعد زمنه بآلاف سنة» (بحار الأنوار، ج ٦١ ص ١٤٢، تعليقات الشيخ المصباح).

و هذا الإشكال يصحّ إذا كان المقصود بالأبدان، الأبدان الدنيوية .. و ذلك أنّ الأبدان الدنيوية تخلق في الأرحام بالتدريج ثمّ تدخل في عالم الدّنيا. أمّا إذا كان المراد بالأبدان تلك الأبدان الأصليّة لجميع وُلد آدم ٧ و إلى القيامة في عالم آخر، و قد خلقت دفعةً واحدةً كحلقة الأرواح، و تعلق كلّ روح ببدنها الخاصّ دفعةً واحدةً أيضاً، فإنّ إشكالاً لا يتأتّى في البين...

إذن، فبالنظر إلى مضمون هذه الروايات القائلة بأنّ حلقة الأرواح قبل ألفي عام من خلقه الأبدان، فإنّه يفهم وجود عالم قد خلقت فيه الأبدان أيضاً، ثمّ تعلّقت روح كلّ بدن ببدنه الخاصّ. و يُستفاد هذا المطلب أيضاً من رواية وردت في الحكمة و الغاية من جعل الأرواح في الأبدان .. إذ جاء فيه:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى عَلِمَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ فِي شَرَفِهَا وَ عُلوِّهَا مَتَى مَا تُرِكَتْ عَلَى حَالِهَا نَزَعَ أَكْثَرُهَا إِلَى دَعْوَى الرُّبُوبِيَّةِ دُونَهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَجَعَلَهَا بِقُدْرَتِهِ فِي الْأَبْدَانِ الَّتِي قَدَّرَ لَهَا فِي ابْتِدَاءِ التَّقْدِيرِ نَظَرًا لَهَا وَ رَحْمَةً بِهَا...» (الصدوق، علل الشرايع، ج ١ ص ١٥).

في هذا الحديث دلالة على أنّ الأرواح بعد أن خلقت - أو صارت خلقتها - مستقلة عن الأبدان، بقيت هكذا ساكنة في الهواء، و كانت تتمتع بالحريّة و الاختيار والقدرة والقابلية التامة .. و لو أنّها تركت لحالها، ادّعى أكثرها الرّبوبيّة وخرجت عن عبوديتها له سبحانه وتعالى، و لكنّ الله بفضله و إحسانه قيدها بالأبدان و حبسها، لتعي ضعفها و حدودها و محدوديتها، فلا تتجرأ على ادّعاء الرّبوبيّة.

٤. تعدّد عالم الذرّ و الأرواح في منظار الخاتون آبادي

قال المرحوم السيّد إسماعيل الخاتون آبادي، و بالنظر إلى هذه النقطة، ما هذا تعريه:

«الحشر موافق لأخبار أهل البيت:، و هو حقّ، و هو متوجّه إلى أصل تشكيل البدن.. و إنّ ذرّات

جميع بني آدم كانت في صلب النبي آدم^٧، ثم تنقلت في أصلاب الرجال و أرحام الأمهات إلى ذلك الشخص، و إنّ وحدة البدن نظراً إلى ذلك الذرّ الذي هو الأصل و في غاية الصغر.. و لهذا، فإنّ صغر أو كبر أو بدانة أو مخافة البدن و جميع ما يحصل و يطرؤ عليه من تغيّرات في بدء الولادة و إلى حين الموت لا مدخلية لكلّ ذلك في وحدة و تعدّد البدن، و إنّما البدن واحد مع سائر التغيّرات نظراً لذلك الذرّ، و ذلك الذرّ كروي الشكل من دون أن يكون البدن بدنّاً آخر. فإذا ما تغيّر الطّعام مثل الحليب أو كان مصدره شخصاً آخر، فإنّ البدن في أصله باقٍ إلى يوم القيامة، كما هو المذكور في حديث (الفقيه) باقٍ في القيامة سيكون ذلك الشخص». (كنجينة بمارستان، حكمت ٢، رسائل اعتقادي، إسماعيل الحسيني الخاتون آبادي، ص ٢٣٧، الفارسي).

٥. تعدّد عالم الذرّ و الأرواح برأي مراد علي تفرشي
نظير هذا المطلب، أورده المرحوم مراد علي التفرشي في تعليقه على كتاب (من لا يحضره الفقيه) و ذيل نفس الرواية التي ذكرها المرحوم الخاتون آبادي، و كتب المرحوم محمد إسماعيل الخواجوي نقلاً عن تعليقه:

«و قال آخوندنا المراد في حاشيته على الفقيه: يمكن أن يُراد بالطينة ذرّة من الذرّات المسؤولة في الأزل بقوله: ألسنت برّبكم، بعد ما جعلت قابلة للخطاب بتعلّق روح كلّ واحدة بها، فيكون بدن كلّ إنسان مخلوقاً من ذرّة من تلك الذرّات؛ فينميها الله تعالى إلى ما شاء الله، فيزيد فيها تلك الزيادات وقت الإحياء». (الخواجوي، جامع الشتات، ص ٦٨؛ انظر أيضاً له: الرسائل الاعتقادية، ج ٢ ص ٣٢٨).
يُستفاد من هذه المطالب أنّ عالم الذرّ بعد الأرواح، و أنّه جلّ و علا قد خلق الأرواح مجرّدة عن أيّ تعلّق بالأبدان، ثمّ في عالم الذرّ علّقها بالأبدان بصورة و هيئة ذرّية.

٦. تعدّد عالم الذرّ و الأرواح عند المولى صالح المازندراني
أورد المازندراني في (شرح الكافي) حديثاً عن مولانا الإمام الباقر^٧ بخصوص أخذ الميثاق على الشيعة بالولاية في عالم الذرّ، و عرض الأئمة المحمدية على خاتم الأنبياء^٦ في عالم الأظلة.. ثمّ كتب المازندراني:

«يفهم منه أنّه وقع عرض الامة المحيية الناجية على الظاهر مرتين مرة عند كونهم اظلة اى اجسادا

١. مراده حديث عن الإمام الصادق^٧ تضمن أنّ بدن الميت في القبر يضمحلّ، و لا تبقى منه إلا طينة و أصل يتلقى الإنسان منه مرة أخرى في القيامة. الفقيه، ج ١ ص ١٩١ ح ٥٨٠؛ و الكافي ج ٣ ص ٢٥١ ح ٧.

صغاراً مثل النمل مستخرجة من الطين الذي هو مادة ابدانهم بعد تعلق الارواح بها و مرة عند كونهم ارواحاً مجردة صرفة قبل ابدانهم بألفي عام». (المازندراني، شرح الكافي، ج ٧ ص ١٢٨).

فالمازندراني رحمه الله فهم من الأحاديث أنّ الإنسان قد مرّ في علمين قبل عالم الدنيا.. عالم الأرواح الصّرف، و عالم الذرّ حيث خلقت الأبدان، ثمّ تعلّقت بها الأرواح.

٧. تعدّد عالم الذرّ و الأرواح بنظر العلامة الأميني

لا يستفيد العلامة الأميني أنّ الإنسان قد مرّ قبل عالم الدنيا بثلاثة عوالم؛ عالم الأرواح و عالم الأظلة و عالم الذرّ.. و قد ذكر لعالم الذرّ جملة أسماء، منها: يوم الولاية، يوم الميثاق، يوم الإقرار، عالم الذرّ، عالم ألتست و عالم الأظلة. ثمّ يقول:

«و يمكن أن يقال: إنّ عالم الأظلة باستقلاله عالم غير عالم الذرّ كعالم الأرواح. و صرح بذلك بعض الأجلاء، لكن يُستفاد بمعونة القرائن الظاهرة الموجودة في بعض الأخبار أنّه قد وقع تعبيراً عن عالم الذرّ في لسان الحديث، و لا ينافي كونه في الواقع عالماً آخر أيضاً». (الأميني، المقاصد، ص ١٣٦).

و بناءً على هذا القول فإنّه لا يستبعد أنّ ابن آدم قد مرّ في ثلاثة عوالم قبل عالم الدنيا، و هي:

الأوّل، عالم الأرواح، و الثاني عالم الأظلة، و الثالث عالم الذرّ. أمّا المرحوم المولى صالح المازندراني

عدّد عالم الأظلة هو عالم الذرّ ذاته، واعتبر عالم الأرواح قد مان قبله بألفي عام. هذا في حين أنّ

بعض الأعلام اعتبروا عالم الأرواح هم عالم الأرواح نفسه.. و أنّ عالم الذرّ هو عالم تشكل الأبدان

و تركيب الأرواح فيها، إذ كتب المرحوم الميرزا مهدي الإصفهاني:

«عالم الأظلة هو عالم الأرواح في مرتبة الظليّة». (الإصفهاني، معارف القرآن، ص ٨٣٩).

و كتب في موضع آخر:

«و في العلوم الإلهيّة؛ الأرواح مطلقاً غير مجرّدة، بل كلّها أظلة و أشباح، والعلم والحياة والقدرة

ليست عين ذواتها، بل هي خارجة عنها». (الإصفهاني، أبواب الهدى، ص ٢٠٠).

و المرحوم آية الله الشيخ محمد باقر الملكي الميانجي أورد حديثاً عن الإمام الصادق ٧ جاء فيه:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَحَدَ مِثْقَالِ الْعِبَادِ وَ هُمْ أَظْلَةٌ قَبْلَ الْمِيلَادِ فَمَا تَعَارَفَ مِنَ الْأَرْوَاحِ اثْتَلَفَ

وَ مَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ». (الصدوق، علل الشرايع، ج ١ ص ٨٤).

ثمّ قال في ذيله: «في هذه الرواية الشريفة دلالة على أنّ المراد من الأظلة هي الأرواح و في التعبير

بالأظلة إشارة إلى شدّة لطافة الدرواح». (الملك، توحيد الإماميّة، ص ١٣٨)

و كتب المرحوم آية الله الشيخ حسن علي مرواريد:

«يظهر من مجموع روايات كثيرة - بعد ضم بعضها إلى بعض - أنه تعالى خلق الأرواح قبل الأبدان و عبّر عنها بالأظلة، و الأشباح أيضاً». (المرواريد، تنبيهات في المبدأ و المعاد، ص ١٠٨).
و الحديث الذي أورده المرحوم الملّكي صوّر عالم الأظلة بأنّه عالم الأرواح، و هو دالّ على هذا المدّعى بالنظر إلى أمرين:

الأوّل: أنّ الحديث ذاته بدأ بالكلام عن أخذ الميثاق و عبّر عن ذلك العالم بالأظلة، ثمّ قال: «فما تعارف من الأرواح» ممّا يدلّ على أنّ المراد بالأظلة: الأرواح.

الثاني: أنّه ورد في روايات مستفيضة أنّ الله تعالى قد خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام.. كما ورد التصريح فيها بأنّ الأرواح جنود مجنّدة و «فما تعارف منها ثمّ اتلف هاهنا». (المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٤١ و ١٣٥ و ٣٩١). فهذا الحديث بضمّه إلى تلك الأحاديث الكثيرة.. يدلّ على أنّ المراد من الأظلة، الأرواح.

٨. تواتر أحاديث عالم الذرّ

يذهب العلامة الأميني رحمه الله إلى أنّ الأحاديث عن وجود عالم الذرّ كثيرة جدّاً.. و هو ينقل أنّ بعضاً من منكري عالم الذرّ يضعّفون روايات عالم الذرّ و يعدّونها غير صحيحة.. و في الردّ على هذا البعض أنّ من حقّق في هذا الأمر و تأمّل في الروايات الواردة، يعلم أنّ هذا القول باطل. (الأميني، المقاصد، ص ٢١٠).

فهو بدوياً أورد (١٩) آية قرآنيّة و ضمّ إليها الروايات الواردة عن المعصومين: في تفسيرها، كما أورد رحمه الله (٧٣) رواية أخرى، ثمّ كتب:

«هذه جملة من أخبار المسألة، و هي مع ما ذكرناه تحت الآيات مئة و خمسون حديثاً.. و قد اقتصرنا بهذه الجملة خوفاً للإطالة و الإطناب، و إلّا فالأخبار الواردة من الفريقين في المقام كثيرة تضاعف على ما ذكر.. و أكثر الأخبار المذكورة نقيّة السند، متقنة معتبرة جدّاً، كما لا يخفى على أرباب الفنّ، و كثير منها في أعلى درجة الصحة، و نحن نذكّر حال سند أربعين حديثاً منها لحسم الكلام». (نفس المصدر، ص ٢٧٠).

و بعد تصحيح سند أربعين حديثاً من الأحاديث المذكورة، كتب:

«هذه أخبار المسألة و بيان حال سند أربعين حديثاً فيها، فالجميع صحيح و أكثرها في أعلى

درجة الصحة، جميع رجالها ثقات أثبات أجلاء من الإمامية قدّست أسرارهم». (نفس المصدر، ص ٢٨٦).
و في موضع آخر، صرّح العلامة الأميني بتواتر أخبار عالم الذر، و كتب:

«لو لم يكن أخبار هذه المسألة متواترة، لم يوجد للمتواتر مصداق أصلاً». (نفس المصدر، ص ٢٨٩).
و في معرض نقله بعض كلمات كبار علماء الشيعة بخصوص عالم الذر، نقل عن المحدث الجليل الشيخ حرّ العاملي و أنّه بعد ذكر سبع روايات عن عالم الذر، كتب:

«أقول: و الأحاديث في ذلك كثيرة جداً، قد تجاوزت حدّ التواتر و تزيد على ألف حديث موجودة في جميع كتب الحديث». (المقاصد، ص ٢٩٩ نقلاً عن الفصول المهمة، ج ١ ص ٤٢٥).

و عدّها المرحوم آية الله الميرزا مهدي الإصفهاني أنّها أكثر من ألف حديث.. و كتب:
«قد عرفت الروايات الواردة في عوالم الذر، فإنّها تزيد عن ألف رواية». (الإصفهاني، معارف القرآن، ص ٩١٦).

و كتب سماحة الشيخ مجتبي القزويني قدّس سرّه ما تعريه:
«بعد الذي ذكرنا يُعلم أنّ وجود عالم الذرّ و خلقه الإنسان في ذلك العالم و أخذ الميثاق، من مسلمات الآيات و الروايات و من مختصات علوم القرآن المجيد و أحاديث سيّد المرسلين و أئمة الهدى... و لم يثبت هذا العالم أحد من علماء البشر و حكماء اليونان و تابعيهم، و إنّما المتفلسفون و المتأخرون المتظاهرون بالدين قد أولوا الروايات الشريفة». (القزويني، بيان الفرقان، ص ٥١٤).

و كتب في موضع آخر:

«وجود عالم الذرّ يُستفاد من آيات و روايات جمّة، و إنّ بعض أعلام المخالفين يعتقدون به، و الأخبار في هذا الباب كثيرة بحيث لا يمكن إنكار صدور الروايات، و قد عمد بعض العلماء و فلاسفة الإسلام إلى تأويلها. و الآخوند الملاً صدرا و بعد أن يصرّح بأنّ هناك خمس مئة رواية واردة في خلقه الأرواح قبل الأجساد.. يعمد إلى تأويلها، و لكن الشخص المحقّق يتأكّد له أنّ مجموع الروايات الصريحة و الناصّة في هذا الباب أكثر من ذلك. و الروايات الشريفة الدالة على هذا المطلب في عدّة أبواب.. و كلّ طائفة بحّد ذاتها لها تواتر إجماليّ». (نفس المصدر، ص ٥٠٤).

و بعد ذلك يذكر القزويني سبع طبقات من الروايات الدالة على وجود عالم الذرّ، و ها هو يكتب في موضع آخر:

«تضعيف الروايات كما نقل عن البعض، باطل و بلا مبرّر، لأنّ الروايات فائقة حدّ التواتر، و

يكفي الروايات الواردة في تفسير الآيات». (نفس المصدر، ص ٥١٣).

٩. حِكْمُ عالم الذرّ

٩-١. عدم تحقّق المعرفة في الدّنيا من دون وجود عالم الذرّ

يذهب العلامة الأميني رحمه الله إلى أنّه سبحانه و تعالى و بناءً على الحديث القدسيّ الذي يُنسب إلى النبيّ داود ٧ قد خلق الإنسان ليعرفه؛ و هو القائل فيه:

«كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف» .

و حسب العلامة الأميني بأنّ معرفة الله تعالى في هذه الدّنيا و بداعي العلائق الدّنيويّة و التّكاليف و الانكباب على ماديّاتها لأهل الدّنيا أمر غير ممكن، و هو رحمه الله يذهب إلى أنّ الإنسان إنّما ينال المعرفة و شهود العوالم الملكوتيّة و القدسيّة، عبر تركية النّفس و التخلّص من الصّفات النفسانيّة، و الإتيان بالصفات القدسيّة، و التّوّل بالأنوار الروحانيّة.. و في هذه الحالة تقوى روحه و تتكرّس فيه ملكوتيّته؛ في ما تضعف لديه القوى الملكيّة و الدّنيويّة .. و بالاقتراب من عوالم الروح و الملكوت يصل الابتعاد عن الظّلم النفسانيّة.. فيأنس بما يستوحش منه الجهال.. و يطمئنّ و يهدأ بما يستوحش منه أهل الدّنيا.. ثمّ يتلمّس المعارف التي يستغرب منها الآخرون؛ إذ همّ أجانب عنها؛ و عكس هذه القضية صادق أيضاً.. أي أنّ المتشبّثين بالدّنيا و الجاعلين منها همّهم الأوّل و الأخير يستوحشون من أمور يلتذّ بها غيرهم، و بالنتيجة تصبح قلوبهم ميّنة، إذ هم عاجزون عن رؤية و إدراك الحقائق الملكوتيّة». (الأميني، المقاصد، ص ١٣٧).

و يعتقد العلامة الأميني أنّ الدّنيا من شأنها أن تُعيق الإنسان عن الالتفات إلى الملكوت و تشغله بنفسه.. و لو أنّ ابن آدم قد أتى به إلى هذه الدّنيا فحسب، و لم يخض في حياته تجربة المجيء إلى عوالم أخرى، فهل كان بالإمكان أن يصل إلى معرفة ربّه؟
 ثمّ استنتج رحمه الله من هذه الأمور و عبّر عنه بالقول:

«فالتّكليف الاصولي [الأوّل] في عالم الأظلة و تجرد الأرواح و الدّرات العقليّة البشريّة عن الظّلمات الجسمانيّة أجدر و أحرى؛ و تجلّى الرّب عليهم و أخذ الميثاق و الإقرار عليهم و تعريفه ذاته بذاته و إسماعهم خطابه من غير وساطة أحد قبل انكدار أنوار الرّوح بالطينة الجسمانيّة الظّلمانيّة

١. تناول محقق كتاب (المقاصد العلية) في هوامشه هذا الحديث بالتفصيل، و أكّد عدم وجود هذا الحديث في المصادر الشيعيّة المعتمدة، و أنّ مصدره الأساس كتب عرفان العامة و الخاصّة.

و وقوعه في المجالس النفسانية أحسن و أولى.

فيقتضى العقل وجود يوم تكليف و عالم عرض و جمع يتجلى الرب فيه على الأرواح العقلية البشرية في الهياكل الذرية و يعرف نفسه عليها و يريها صنعها و يعرفها معرفه في حال نورانياتها و صفاتها ليهلك من هلك عن بصيرة تامة و يحيى من حي كذلك، و يكون المبدأ الروحي الإنساني على ما يقتضيه منتهاه و مرجعه، و يتحد المبدأ و الغاية بأن يكون من الله و إلى الله. و لولا ذلك العالم و اكتساب الأفراد البشرية المعارف الإلهية و النورانية و التجرد، لم يدر أحد من ربه و خالقه و لم يعرفه أحد بأوصافه الجلالية و الجمالية و الإكرامية». (الأميني، المقاصد، ص ١٣٨).

و بعد بيانه هذه المسألة نجد العلامة الأميني يسندها بتسع روايات مسندة و فيها أشير بكل صراحة:

*لولا ذلك لم يعرف أحد ربه.

*لولا ذلك لم يدر أحد خالقه و لا من رازقه.

*لولا ذلك لم يعلموا إذا سئلوا من ربهم و لا من رازقهم.

و بعد ذكر هذه الأحاديث يقول مستنجا مرة أخرى:

«فما ترى أنت من المعارف و العلوم الإلهية، إنما هو من بركات المعرفة الحاصلة في الخلق الأول

المثبتة على القلوب في عالم الأظلة». (نفس المصدر، ص ١٣٩ و ١٤٤).

و يعبر الأميني في توضيحاته معرفة الله تعالى و تجليته نفسه ب (المظاهر المثالية) (نفس المصدر، ص

١٣٩) حيث تؤدي - لدى معرفة الله سبحانه - دور الوسيط و أنه من دونها لا تتأتى معرفة الله.

و عن هذه المظاهر يكتب:

«إن الإله لا بد له من آثار تترتب على وجوده؛ من الخلق و العلم بأحوال العباد و الإطلاع لما هو آت عليها و إيصال الخير لهم و دفع الضرر عنهم و غيره من الآثار اللازمة على وجود الإله».

(نفس المصدر، ص ٤٥).

و ينسب الأميني إبطال عبادة الأصنام المعروفة و المصنوعة من الحجارة و الخشب من قبل البشر أنفسهم إلى الله سبحانه و تعالى، و ذلك أنه لما كانت الأصنام عديمة التأثير الذاتي، فإنها لا تصلح و لا تستطيع أن تكون إلهاً.. و لو كانت رباً كان لا بد لها من قدرة التأثير الذاتي، لأن وجود الإله يلازمه القدرة على التأثير الذاتي.

و قوله هذا صحيح إلى حدٍّ ما.. و لكنّه لا يسرى على الإطلاق دوماً، إذ من الواضح أنّ ربوبيّة الله غير متعلّقة و غير مرتبطة بوجود خلق أبدأ.

و يفصل الأُميني هذا المطلب في موضع آخر، خلاصته:

١. بحكم العقل البديهي فإنّ كلّ صفة حسنة لها آثارها و دلائلها.

٢. ذوالصفة الحسنة، لا بدّ أن تظهر و تتجلّى آثارها.

٣. من كانت له صفة حسنة، لا بدّ أن يظهر نفسه بتلك الصفة و آثارها للآخرين و يعرف نفسه بها.

٤. أنه تبارك و تعالى يمتلك كلّ الصفات الحسنة.

٥. أنّه سبحانه تصدر عنه آثار جميع تلكم الصفات الحسنة.

٦. و عليه، لا بدّ لله تعالى أن يعرف نفسه للآخرين بجميع تلكم الصفات و الآثار.

٧. و هذا من أجل أن ينتفع الآخرون من بركات تلك الصفات و الآثار.

٨. فيلزم أن يكون تمّ خلق على الدوام ليُعرف الله لهم و ينتفع هذا الخلق من آثار صفاته.

إنّ معرفة الله لا تتأتّى إلّا من قبله هو و بواسطة هو .. و هو الذي ينبغي أن يُعرف نفسه إلى خلقه، و على أساس الآيات القرآنيّة و الروايات المستفيضة الواردة عن أهل البيت؛ فإنّه تبارك و تعالى قد عرّف نفسه عباده في عالمين على الأقلّ، أعني عالم الأرواح و عالم الدّر، إذ كلّهم مباشرة .. و على حدّ تعبير الروايات، فإنّه سبحانه قد كشف عن نفسه لخلق عياناً.. فعاهدوه و أمضوا له ميثاق عبوديّتهم إياه.

و لكنّ هذا الانسان ما أن يضع قدمه في هذه الدنيا حتى ينسى هذه المعرفة بفعل إلهي في ما يتكرّس أصل هذه المعرفة في حقيقة فطرته.. و لكي يُتمّ الله تعالى الحجة على العباد؛ فقد بعث الأنبياء و الأولياء - الأوصياء و الأئمّة - تترى ليعرفوا الناس ربّهم و يُخرجوهم من دائرة الغفلة و التّسيان و يلفتوا انتباههم إلى الفطرة المتحدّرة فيهم..

و على هذا فإنّ معرفة الله على أساس روايات أهل البيت: ليست اكتساباً نظريّاً و فيما الإنسان لا يتمكّن من هذه المعرفة بالاعتماد على سعيه مع وجود إمكانيّة التسلّح بعقله.

٩. إنّ حديث «كنت كنزاً مخفياً...» يدلّ على هذا المطلب.

١٠. إنّ المراد بأنّصاف الله تعالى بجميع الصّفات الحسنة أنّها تعرّف بين الله و خلقه و هي تُرشدهم

إلى معرفة ربهم.

١١. و هذا من أجل أنّ معرفة صفات الله بلا وجود معرّف غير ذات الله المتعال، أمر غير ممكن.

١٢. أنّ علّة هذا الأمر عدم وجود السنخية و التناسب بين الله و الخلق، بحيث يعرفهم الرب نفسه و صفاته و آثاره بشكل مباشر.

١٣. فيلزم أن يخلق لهم معرّفاً قبل الخلقة، ليحقّق الهدف من الخلقة - و هو معرفة الله و عبادته - بواسطة.

١٤. في غير هذه الصورة يكون عمليّة الخلق عبثاً و لغواً. (نفس المصدر، ص ١٠٨-١١٠).

بما تلخّص في النقاط الأربع عشرة.. يكون من المناسب التذكير بأنّ القرآن الكريم و أحاديث أهل البيت: قد أكّدا بصرحة أنّ معرفة الله هي فعل من أفعال الله سبحانه، كما أنّ أحاديث جمّة قد ذكرت بأنّ معرفة الله لا بدّ أن تُنسب إليه هو سبحانه؛ فيستفاد من هذه الروايات الكثيرة أنّ التّاس يلجئون في هذه الدّنيا عند الشدائد إلى ربهم - و لا فرق لدى ذلك بين المؤمن و غيره- و أنّ للجميع في هذا العالم أن يتمكّنوا بلطف الله و عنايته و بدعوة الأنبياء و الأولياء من التشرّف بمحضر الله و أن يُخاطبوه و يتكلّموا معه.. و بهذا تتمّ الحجّة على الخلق، و هم في الغد سيكلّفون الإجابة عمّا بدر منهم من أعمال و أفعال.

و في حديث عن أميرالمؤمنين^٧ أنّه سئل عمّا إذا كان عرف الله بالنبيّ أم عرف النبيّ بالله؟ فأجاب^٧ أنّه عرف النبيّ بالله عزّوجلّ. (الصدوق، التوحيد، ص ٢٨٦؛ المجلسي، بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٧٢).

و كذا ورد في أحاديث أنّ الإنسان يعرف نفسه بواسطة ربّه دون العكس، بمعنى أنّه يعرف الله بالله، ثمّ يعرف نفسه بالله.. و جاء في حديث سدير عن الصادق^٧:

«مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُ اللَّهَ بِتَوْهُمِ الْقُلُوبِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُ اللَّهَ بِالِاسْمِ دُونَ الْمَعْنَى فَقَدْ أَقْرَ بِالطَّغْنِ لِأَنَّ الْإِسْمَ مُحَدَّثٌ، وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْبُدُ الْإِسْمَ وَ الْمَعْنَى فَقَدْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ شَرِيكاً، وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْبُدُ الْمَعْنَى بِالْصِّفَةِ لَا بِالِادْرَاكِ فَقَدْ أَحَالَ عَلَى غَائِبٍ ...

قِيلَ لَهُ: فَكَيْفَ سَبِيلُ التَّوْحِيدِ؟ قَالَ^٧: ... إِنَّ مَعْرِفَةَ عَيْنِ الشَّاهِدِ قَبْلَ صِفَتِهِ وَ مَعْرِفَةَ صِفَةِ الْغَائِبِ قَبْلَ عَيْنِهِ.

قِيلَ: وَ كَيْفَ نَعْرِفُ عَيْنَ الشَّاهِدِ قَبْلَ صِفَتِهِ؟ قَالَ^٧: نَعْرِفُهُ وَ تَعْلَمُ عِلْمَهُ وَ نَعْرِفُ نَفْسَكَ بِهِ وَ لَا نَعْرِفُ نَفْسَكَ بِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِكَ، وَ تَعْلَمُ أَنَّ مَا فِيهِ لَهُ وَ بِهِ، كَمَا قَالُوا لِيُوسُفَ: إِنَّكَ لَأَنْتَ

يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هَذَا أَخِي (يوسف، ٩٠)؛ فَعَرَفُوهُ بِهِ وَ لَمْ يَعْرِفُوهُ بِعَيْزِهِ وَ لَا أَتَّبَعُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِتَوَكُّلِهِمُ الْقُلُوبَ». (ابن شعبة، تحف العقول، ص ٣٢٦ - ٣٢٨).

إنَّ المعرفةَ فطريَّةً و من فعل الله تعالى.. و معرفة الله شأن عائد إليه جلَّ و علا. و دور هذه المعرفة و دور العقل و الإهن الإنساني في هذه المعرفة و دور الأنبياء و الأئمة في ذلك، هو المعرفة بالأبيات و معرفة الأسماء الإلهية.. و إن تعدَّد معنى المعرفة في ما يرتبط بالله تعالى فيه مباحث تفصيلية كثيرة، يبدو أنَّ هذا المقال لا يسعها. (انظر للتفصيل: كتب: توحيد الإمامية للشيخ محمد باقر الملكي المياجي؛ تنبيهات في المبدأ و المعاد للشيخ حسن على مرواريد؛ ميزان المطالب للميرزا جواد الطهراني؛ أبواب الهدى للميرزا مهدي الإصفهاني؛ توحيد و أسماء و صفات لمحمد بياياني؛ و انظر أيضاً: مقالات لمحمد بياياني أسكوي في مجلة سفينة، أعداد ٧ إلى ٢٥).

٩-٢. انقطاع كلِّ عذر و تبرير

بيَّن الله تعالى في آية كتابه الكريم، الحكمة من وجود عالم الدَّر بالصورة أدناه:
«وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ». (الأعراف / ١٧٢).
يؤكد الله تعالى في هذه الآية الكريمة حكمتين و غايتين لوجود عالم الدَّر:

الأولى: أن لا يدَّعي الناس الغفلة في القيامة عمّا كانوا يعملون في الدُّنيا. و ذلك أنَّه تعالى قد عرّف نفسه عياناً لعباده في عالم الدَّر إلى الحدِّ الذي لم يبق فيه شكّ و شبهة تجاه ربّه سبحانه.. و قد أخذ عليه الميثاق بذلك. ثمَّ أنَّ الأنبياء كانت لهم مهمّة مساعدة الإنسان بالعمل بذلك الميثاق.. و هكذا يكون تعالى قد أتمَّ الحجة على عبده الإنسان في دار الدُّنيا.. و هو الذي سيرى جميع أعماله أمام عينيه في القيامة، فلا يبقى له عذر و تبرير.

الثاني: أنَّ النَّاس في الدُّنيا يدخلونها بالتدرّج، و بالنتيجة يكون للآباء و الأمّهات و لأسباب التأثير العديدة الأخرى دور في تشكّل المعرفة البشريّة و تربيته العلميّة. و تارة يدَّعي الإنسان أنَّ المجتمع الذي ترعرع فيه في دار الدُّنيا كان جاهلاً بالله كافراً مشركاً.. و أنَّه قد عاش فيه و ضلَّ بضلاله.. و لكنَّ الله سبحانه كان أوجد عالم الدَّر و جميع أولاد آدم ٧ دفعة واحدة و بلا تقدّم أو تأخّر، فنالوا معرفة ربّهم بلا فواصل زمنيّة، فصاروا مكلفين تبعاً لذلك التعريف.. و لكنّهم في دار الدُّنيا صار بعضهم - في الظاهر - إلى الإقرار، و في الباطن إلى الكفر في الباطن، فتشكّل فيهم الشُّرك و الإيمان.

أما إذا جاء شطر منهم بتبرير أنّ آبائهم أشركوا فأشركوا هم أيضاً.. فإنّهم سيلقون الردّ و الجواب بأنّ شرككم هذا ليس هو الشّرك الأوّل.. و أنّما قد كنتم أشركتم في عالم الذّر أيضاً، و الحال أنّ آبائكم كانوا إلى جانبكم هناك، و قد كلّفوا كتكليفكم.. يقول المرحوم العلامة الأميني بهذا الصّدّد:

«نتيجة ذلك الخلق و التّكليف إقامة الحجّة بذلك على المعتذرين و قطع عذرهم. و ذلك أنّ أخذ الميثاق و التّكليف في الخلق الأوّل لما كان يتجلّى الرّبّ على جميع العباد و تعريفه نفسه بقوله: إني أنا الله لا إله إلّا أنا و أنا الرّحمن الرّحيم، و خطابه إليهم معاينة بقوله: "ألست بربّكم"، برئى و مسمع واحد، كان أخذه موثيقهم بالرّبوبيّة و الولاية بخطاب واحد من متكلّم واحد في مجمع واحد على حال واحد، لا ينبغي لأحد أن يعتذر بالغفلة، و لا بأنّما أشرك آبائي من قبل لتسوية الكلّ في الكلّ، و عدم تقدّم تكليف الآباء على الأبناء و عدم مزيّة أحدهم على الآخر في أمر يقتضي المحلّ لهذا الاعتذار. فوحدة جميع الأفراد البشريّة حالاً و محلاً و زماناً و تكليفاً و خلقاً و اشتراكهم في جميع الخصوصيّات قاطع وجوه الاعتذار، نافي موضوعه كما لا يخفى». (الأميني، المقاصد، ص ٢١٠).

٩-٣. ردّ على شبهة الأكل و المأكول

ذكرنا من قبل عن المرحوم الخاتون آبادي و كذا عن مراد بن علي التّفريسي أنّهما في بحث المعاد الجسماني و الشبهات المرتبطة به، و بالاستناد إلى البدن الدّري، أثبتا وحدة البدن المعاد مع البدن الدّنيوي. و ذهبوا إلى أنّ أصل بدن كلّ إنسان هو نفسه الّذي كان عليه في عالم الذّر و بالصّورة الدّريّة.. و قد جرى ذلك في الأصلاب و الأرحام حيث ينمو في الدّنيا، ثمّ لدى الموت و ما بعده سيبقى في الأرض بصورة مستديرة، و في يوم القيامة حيث يُحيى الله تعالى البشر مرّة أخرى بالضّمائم الّتي كانت فيه في دار الدّنيا حيث تنمو و تكبر معه. فيكون ابن آدم ذلك الإنسان الّذي عاش و سار من عالم الذّر إلى يوم القيامة و أضيفت له ضمائم في الدّنيا.. فيُضيف الله إليه تلك الضّمائم في الآخرة.

و كتب العالم المحقّق الشيخ مجتبي القزويني بهذا الصّدّد ما تعريبه:

«الأصل الثّاني المستفاد من الآيات القرآنيّة الشّريفة و الرّوايات، و كون المعاد القرآني قائم عليه، هو أنّ الإنسان موجود في هذا العالم. و كانت بدايته نطفة ثمّ علقة فمُضغة و طفلاً و شاباً و كهلاً

و شيخاً ثم يموت. و في العالم السابق على هذا العالم، كان الله تعالى قد خلق كلّ إنسان بوجود و هيئة ذرّية و أكرمه بالروح و العقل، ثمّ كلّفه. فكما أنّ ابن آدم في هذا العالم - الدّنيا - صاحب بدن و روح و عقل، فهو كان كذلك في العالم السابق.. و قد عبّر عن هذه الجهات الثلاث بالطبيعة و الروح و النّور.. و جذوة الأخبار في هذا الباب الّتي ذكر مجملها، هي أنّ الرّبّ المتعال قد خلق - بعلمه و قدرته التّامة - أرواحاً و أبداناً، ثمّ أقرّ الأرواح في الأبدان، و أعطى لها العقل، ثمّ كلّفها.. فمن أطاع سعد و من عصى شقي.. و مع كلّ ذلك يكون لله عزّوجلّ البداء الّذي يُصعد و يُسقي.. و إنّ اسم العالم السابق هو عالم الدّرّ». (القزويني، بيان الفرقان، ص ٥٠٣ - ٥٠٤).

و كذا قال كاتباً:

«و صريح الروايات هو أنّ أرواح المؤمنين و الشيعة قد خلقت من طينة و مادّة كيف يمكن الحكم بتجرّد أو عينية العلم و العقل فيها؟ و كذلك يعلم أنّ المخلوق السابق في عالم الدّرّ لم يمكن منحصرّاً بالطّينة و البدن، و إنّما الإنسان في عالم الدّرّ كان مركّباً من الرّوح و البدن و العقل حيث خلّق هكذا و بصورة ذرّية. و بالجملة فإنّ الإنسان في هذا العالم هو ذاته الّذي كان في عالم الدّرّ مركّباً من الرّوح و العقل و الطّينة في عالم الدّرّ و قبل عالم الرّجم و التّطفة بآلاف السّنين». (نفس المصدر، ص ٥١٠).

و يُضيف رحمه الله إلى قوله:

«مقتضى العدل الإلهي التّام المعبر عنه بالقسط، هو أنّ أعمال الإنسان في ذلك العالم [الآخرة] ستُجازى بالخصوصيّات ذات المدخليّة في ذلك، و لازم ذلك أنّ الرّوح بأجزائه الطّينة الأصليّة الأوّلية، و الأجزاء الأصليّة الّتي اتّخذتها من هذا العالم سترجع، حيث سيُعطى اللذائذ أو الآلام الحسيّة جزاءً على أعماله. و لو لم يكن كذلك لم تكن الحجّة على المطيع و العاصي لتتمّ، لأنّ أفعال و أعمال الرّوح لم تكن مستقلّة، و إنّما هذه الخصوصيّات كانت ذات مدخليّة على نحو الإقتضاء». (نفس المصدر، ص ٥٤١).

١٠. ضرورات التّحقيق في عالم الدّرّ

بعد الجهود الكثيرة الّتي بذلها علماء الدّين بخصوص عالم الدّرّ و توضيح و تحديد الجهات المتعدّدة لوجود الإنسان في عالم الدّرّ.. بأنّه ماتزال زوايا متعدّدة باقية بخصوص عالم الدّرّ، و يلزم إعمال التّحقيق فيها؛ مثل:

* وجود الإنسان في ذلك العالم.

* أحوال و كَيْفِيَّة ظروف و خصوصيات ذلك العالم.

* ارتباط الحوادث و الوقائع المتوقّرة في ذلك العالم مع ما في هذا العالم من الوقائع الحادثة.

* وجود الإنسان في ذلك العالم.

* بعض الروايات في الدّعاء لتحصيل الولد، و كذا تعيين جنسيّة الجنين.

* كَيْفِيَّة مسار البدن الدّريّ مع الرّوح في الأصلاّب و الأرحام.

* انفصال الرّوح عن البدن حين النّوم و الموت.

* الفرق في قطع علاقة الرّوح من البدن بين النّوم و الموت.

* فرق الرّوح المخلوقة قبل البدن الدّريّ بألفي عام مع بدن الذرّ في عالم الذرّ و تركيبه مع الرّوح الّتي

تنفخ في الجنين ذي الشهور الأربعة.

* الفارق بين حالات الأنبياء و الأولياء و المؤمنين في الأصلاّب و الأرحام.

* عمومية نسيان العهد و الميثاق تجاه الأنبياء و الأولياء و الأوصياء و عدم ذلك.

* النطفة الّتي تخرج من أبدان الجميع حين الموت.

* إمكانيّة وجود الإنسان في الدّنيا بلا سابقة ذرّيّة أو عدم مجيء إنسان إلى الدّنيا و لم يكن في عالم

الأرواح و الذرّ.

* هل أنّ البدن الدّريّ يوضع في الأصلاّب بشكل تامّ أم أنّ قسماً منه يوضع في الأصلاّب و قسم

آخر في الأرحام؟

* الروايات الدالّة على أنّ نطفة المؤمن تأتي من الجنّة.

* خلط الطّيّنات العلية مع السجّينية.

* اختصاص الخلط بالأبدان دون الأرواح و أبدان الأنبياء و الأئمّة.

و مطالب كثيرة أخرى، لا نرى لزوماً في طرحها هاهنا.

المصادر

القرآن الكريم

۱. ابن شعبة، حسن. تحف العقول، قم: جماعة المدرسين، ۱۴۰۴ ق.
۲. اصفهانی، مهدی. معارف القرآن. قم: مؤسسة معارف أهل البيت، ۱۴۳۸ ق.
۳. اصفهانی، مهدی. ابواب الهدى. قم: مؤسسة معارف أهل البيت، ۱۴۳۸ ق.
۴. الاميني، عبدالحسين. المقاصد العلية في المطالب السنية. قم: مؤسسة المحقق الطباطبائي، ۱۴۳۴ ق.
۵. انصاری، حسن. چند نکته ای در باره المقاصد العلية. زندگی نامه و خدمات علمی و فرهنگی علامه امینی. تهران: انجمن آثار و مفاخر فرهنگی، ۱۳۹۸ ش.
۶. بیابانی اسکویی، محمد. جایگاه عالم ذر و ارواح در فطرت توحیدی انسان. تهران: نیا، ۱۳۹۵ ش.
۷. بیابانی اسکویی، محمد. توحید و اسماء و صفات. تهران: نیا، ۱۳۹۰ ش.
۸. خاتون آبادی، اسماعیل. گنجینه بمارستان، حکمت ۲، رسائل اعتقادی. تهران: کتابخانه مجلس، ۱۳۸۷ ش.
۹. الخواجوی، محمد اسماعیل. جامع الشتات. قم: جماعة المدرسين، ۱۴۱۸ ق.
۱۰. الخواجوی، محمد اسماعیل. الرسائل الاعتقادية. قم: عاشورا، ۱۴۲۶ ق.
۱۱. صدوق، محمد بن علی. التوحید. قم: جماعة المدرسين، ۱۳۹۸ ق.
۱۲. صدوق، محمد بن علی. من لا يحضره الفقيه. قم: جماعة المدرسين، ۱۴۱۳ ق.
۱۳. صدوق، محمد بن علی. علل الشرائع. قم: جماعة المدرسين، ۱۳۹۸ ق.
۱۴. طالعی، عبدالحسين. مروی بر المقاصد العلية. در کتاب: امین شریعت، قم: بنیاد محقق طباطبائی، ۱۳۹۲ ش.
۱۵. طالعی، کوثر. مبانی و روش های فقه الحدیثی علامه امینی در کتاب "المقاصد العلية في المطالب السنية". پایان نامه کارشناسی ارشد (رسالة ماجستير). طهران: دانشگاه قرآن و حدیث، ۱۴۰۰ ش.
۱۶. طباطبائی یزدی، بشری. چهل حدیث برگزیده از المقاصد العلية. در کتاب: امین شریعت، قم: بنیاد محقق طباطبائی، ۱۳۹۲ ش.
۱۷. طهرانی، جواد. میزان المطالب. طهران: آفاق، ۱۳۹۲ ش.
۱۸. العطّار، قیس بمجت. نظرة إلى المقاصد العلية. سفينة، عدد ۳۸، ۱۳۹۲ ش.
۱۹. علم الهدی، محمد باقر. سدّ المفترّ علی منکرى عالم الدّرّ. بیروت: دار العلوم، ۲۰۱۲ م.
۲۰. قزوینی، مجتبی. بیان الفرقان. قزوین: حدیث امروز، ۱۳۸۷ ش.
۲۱. الکلینی، محمد بن یعقوب. الکافی. طهران: دار الكتب الاسلامية، ۱۳۸۸ ق.
۲۲. مازندرانی، صالح. شرح الکافی. طهران: المكتبة الاسلامية، ۱۳۸۲ ق.
۲۳. المجلسي، محمد باقر. بحار الانوار. بیروت: دار إحياء التراث العربي، ۱۴۰۳ ق.
۲۴. مروارید، حسن علی. تنبیهات علی المبدأ و المعاد. مشهد: مجمع البحوث الاسلامية، ۱۳۹۲ ش.
۲۵. الملکی المیانجی، محمد باقر. توحید الإمامية. قم: مؤسسه معارف أهل بیت، ۱۳۹۵ ش.